

تقديم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى آله وصحبه الكرام وبعد:

فأستاذى المرحوم فضيلة الشيخ عبد المتعال الصعیدی من علماء الأزهر المجددين ينتمی إلى مدرسة الفكر الحر التي تنهج في فكرها إثارة التجديد على الجمود، وترجيح جانب الاجتهاد على جانب التقليد، التي أنشأها الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده بما سنّ فيه من حرية فكرية، واجتهاد علمي يستمدان أصولهما من كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، وآراء نوى الإصلاح الديني ممن أوروثو الفكر الإسلامي خصباً ونضارة، ومن تلاميذ هذه المدرسة - على سبيل المثال لا الحصر - أساتذتنا الأجلاء فضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت، والشيخ محمد عرفة، والشيخ إبراهيم الجبالی، ومن قبلهم الإمامان الكبيران الشيخ محمد مصطفى المراغی، والشيخ عبد المجيد سليم. ولكل منهم سبقه الحميد..

لقد وهب الله أستاذنا الشيخ عبد المتعال الصعیدی نضجا في الفكر، وسعة في الأفق، ورجاحة في العقل، ورحابة في الصدر، وثراء في العلم. فعُرف باتجاهه الفكري المتميز في فروع كثيرة من فروع العلم لا في التشريع وحده، فقد كتب - بجانب التشريع -

فى المنطق، والبلاغة، والنحو، والتاريخ.. مؤلفات تجديدية رائعة لا يزال أولو العلم يرددونها عن شوق وإعجاب.. وتعدت مؤلفاته المطبوعة فى تلك العلوم خمسين كتابا بخلاف المخطوطات التى لم يتح لها النشر بعد والتى أودعها مكتبة الأزهر الشريف..

ولقد غرس فىنا - رحمه الله - ونحن طلبة العلم منه فى كلية اللغة العربية - فى الخمسينيات - حرية الانطلاق فى البحث والتحصيل، والاستدلال والتعليل، والرأى والفكر.. وكنا نترسم خطاه، ويجذبنا نحوه ونحن نتابع أبحاثه ومقالاته فى القضايا الدينية وقضايا الإصلاح والتحديد التى أثارت حركة فكرية فى الصحف والمجلات..

وهذا الكتاب «حرية الفكر فى الإسلام» ليس وحده الذى كتبه الأستاذ فى هذا المجال. فقد سبقته كتب رائدة مثل كتابه «المجددون فى الإسلام» وكتابه «الحرية الدينية فى الإسلام» عن «الإصلاح فى الأزهر...».

والكتاب الذى أقدمه الآن «حرية الفكر فى الإسلام» يحتوى على فصول.. يتحدث الفصل الأول فيه عن الفرق بين الحرية الفكرية والحرية الدينية، وأن الحرية الفكرية أعم وأشمل لأنها تشمل الحرية العلمية والحرية السياسية والحرية الدينية، وقد عرّف كل حرية منها وبين أهمية الحرية الفكرية..

وفىها آراء جديدة لم يسبق إليها، وإذا كان بعضها يحتمل النقاش فهذه سنة أهل العلم مادامت هذه الآراء تستند إلى الأدلة

الصحيحة، وليس النقاش فى هذه الأدلة، ولكن النقاش فى توجيه النص لأن لكل وجهة هو موليها..

وقد سبق أن تحدث الأستاذ فى كتابه المعروف «فى ميدان الاجتهاد» عن ضرورة الحرية الفكرية، وما تلا هذا الكتاب القيم من بحوث إنما جاء تطبيقا لما بيّنه فى كتاب «فى ميدان الاجتهاد» وقد طبع منذ نحو ستين عاما واستقبلته الدوائر العلمية بالترحيب، كما أثار نقاشا مثمرا فى بعض الصحف والمجلات المعاصرة..

ثم تلا الفصل الأول فصول تحدث فيها أستاذنا عن الجزاء والحرية الفكرية..، وعن الإسلام والحرية العلمية..، وعن الإسلام والحرية السياسية..، وعن الإسلام والحرية الدينية..

وأكد على شدة الحاجة إلى الجزاء الدنيوى والأخروى. فقد خلق الإنسان وفى طبيعته ميل إلى الخير وميل إلى الشر حتى يكون له الاختيار بينهما، فلا بد أن يكون هناك ما يساعد جانب الميل إلى الخير فى الناس لصرفهم إليه، ولا بد أن يكون هناك ما يقاوم جانب الميل إلى الشر فيهم ليصرفهم عنه..

وأن الجزاء الدنيوى لا يعكر بشيء على الحرية الفكرية إذا سار فى طريقه المعقول ولم يصل إلى شيء من الإعانات والتعسف..

وأن الجزاء الأخروى لا يعكر بشيء على الحرية أيضا، وأن الإسلام لا يغلق باب الاجتهاد على الناس، بل يفتحه أمامهم على مصراعيه، والمجتهد عنده لا إثم عليه فيما اجتهد فيه ولو أخطأ

طريق الصواب، بل من اجتهد عنده وأصاب فله أجران، ومن اجتهد عنده وأخطأ فله أجر واحد ويعذر في خطئه فقط، لكنه لا يعذر. عند الجمهور في خطئه إذا وصل إلى حد الكفر، وهذا إنما يكون بإنكار أصل من الأصول الدينية المعلومة من الدين بالضرورة، مثل الإيمان بالله تعالى من العقائد، مثل وجوب الصلاة من الفروع العلمية..

ومثل هذه الآراء التي وردت في فصول الكتاب ستكون موضع نظر فاحص، والمجتهد المثابر على الاجتهاد مثل أستاذنا الشيخ عبد المتعال الصعيدي لابد أن يكون في اجتهاده ما يثير النقاش، ولا شيء في ذلك مادام النقاش يعتصم بالدليل علمياً، وبالإخلاص سلوكياً، وبالتقدير شخصياً..

وكتب الخلاف في التشريع الإسلامي كثيرة، ولكل مؤلف من أصحاب هذه الكتب مكانته المحترمة بين مخالفيه، لأن اختلاف الرأي لا يفسد قضية الود، بل يبارك الحب والتقدير، إذ الهدف هو الوصول إلى الحقائق عن طريق قويم، لا عن طريق الشقاق والمعاداة..

وفي الفصل الخامس الذي تحدث فيه عن الإسلام والحرية الدينية أكد أستاذنا - رحمه الله - على اشتراط الحرية في صحة الإسلام.. وبرهن على أن الإسلام الذي يحصل بالإكراه بالسيف أو نحوه غير صحيح، وردّ على الجامدين الذين ذهبوا إلى أن ما يسمى بالحرية

الدينية بدعة حديثة في عصرنا..، ثم ذكر الآيات التي وردت في القرآن الكريم تدعو المسلمين إلى القتال وأوضح أنها مقيدة بقتال من يقاتل المسلمين أو يعتدى عليهم.. وليست مطلقة..

كما تحدث عن المرتد وبين أقوال العلماء فيه.. وذهب أستاذنا إلى أن المرتد يدعى إلى العودة إلى الإسلام بالتى هى أحسن ما لم يقاتل المسلمين كما يدعى إليه الكافر الأصلي سواء بسواء..

ولأستاذنا شرح مستفيض خاص بهذا الموضوع فى كتبه يرجع إليه من أراد الإسهاب والتفصيل ففيه الأدلة المبسطة التى تشرح وجهة نظره..

وإذا كان الفصل الأخير من الكتاب يشير إلى بعض المفكرين من أعلام الإسلام مثل عثمان بن عفان، وخالد بن يزيد، وعمر بن عبد العزيز، والمأمون، ويحيى بن أكثم، وأبو العلاء المعرى، وابن رشد، ونصير الدين الطوسى، فإننى ألاحظ أن أستاذنا لم يستوف القول على وجهه الذى يعرض الآراء المختلفة حول هؤلاء الكبار، ولو فعل ذلك لأشبع رغبة القارئ.. ولكنه اكتفى ببعض ما يقال، وكنت أتمنى أن يذكر ما قاله المخالفون لاتجاه هؤلاء الأفاضل، فيضع الميزان المستقيم بين رأى ورأى، وانتقاء وانتقاء، ولعله أراد أن يوجه الأنظار فقط إلى هؤلاء تاركا للباحثين أن يواصلوا السَّبح الطويل حتى يهتدوا إلى الرأى القويم..

رحم الله أستاذنا الشيخ عبد المتعال الصعيدى فقد عرّفنا فى دروسه النافعة كيف يهذى الأستاذ طلابه إلى آفاق جديدة تتسع

للجدل المخلص وللحوار السديد، ولذلك نشأ من تلاميذه من
يعشقون البحث ويحاولون السير على منواله فى خطو ثابت موفق
بإذن الله.

ولعلى أسعد مستقبلا بقراءة ما تقوم به دار المعارف من نشر
مؤلفات أستاذنا المخطوطة التى لم يتح لها النشر إلى الآن فتلك
رسالتها النبيلة التى عهدناها نحو علمائنا الكبار من المحققين،
لا سيما وأن على قمة دار المعارف الأستاذ رجب البنا الذى أثق به
شخصيا، وأقدر فيه حبه وحرصه وإخلاصه فى نشر العلم النافع
والثقافة الرفيعة الجادة التى تهدى الشباب إلى الطريق الصحيح
المستقيم.

والله ولى التوفيق..

(هوزى فاضل الزفراف)

وكيل الأزهر الأسبق

عضو مجمع البحوث الإسلامية

رئيس اللجنة الدائمة للأزهر الشريف

للحوار بين الأديان السماوية

١٢ من ١٦ من رمضان ١٤٢٢هـ

ديسمبر ٢٠٠٠م

مقدمة المؤلف

الحمد لله الذى أنعم على بنى الإنسان بنعمة الفكر، يمتازوا به على غيرهم من الخلق، والصلاة والسلام على نبيه محمد الذى اختصه بمعجزة القرآن، ليدعو بها الناس إلى دينه بالتفكير فى آياته فى الكون.

وبعد: فهذا كتاب - حرية الفكر فى الإسلام - وهو موضوع تناوله كثير من علمائنا الأحرار بالبحث، وكان لى فيه بحوث نشرتها فى مختلف المجالات والجرائد. وكانت لى فيها آراء واجتهادات، فإذا سرت فى هذا الكتاب فإنما أسير فيه على هدى هؤلاء العلماء الأحرار، وإذا زدت فيه عليهم فإنما أسير فيما أزيد على سبيلهم، من إيثار التجديد على الجمود، وترجيح جانب الاجتهاد على جانب التقليد.

وهذا الكتاب تتميم لكتابى السابق - الحرية الدينية فى الإسلام - وليس بتكرار له، لأنه أعم منه موضوعاً، وأوفى منه بحثاً، ومن الله أسأل التوفيق، والهداية إلى أقوم طريق.

عبد المتعال الصعدي